﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ [ق: 9 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلهما:

الانتقالُ من بيانِ المظاهِرِ الخاصَّة إلى بيان الأدلَّة المشتركة

بعد أن بيَّنت الآياتُ السابقةُ مظاهِرَ قدرة الله في السماء والأرض؛ ناسب بيانُ مظاهرِ قدرتِه تعالى فيما بينهما، بإنزال المطر من السماء من فوق، وإخراج النبات من الأرض من تحت[1]، وهذا الإنزالُ والإنباتُ إنَّما هما آثارٌ من آثارِ تلك المصنوعات العظيمة - السَّماءِ المبنيَّة والأرضِ الممدودة - وفيهما آياتٌ جليلة، تَتَجَدَّدُ على مرور الدَّهر، تحيا، ثم تموتُ، ثمَّ تحيا دأبًا[2]، وفي ذكر المطر والنَّبات شروعٌ في بيان كيفيَّة ما ذُكِر من إنباتِ كلِّ زوجٍ بهيج[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّبَٰرَكًا﴾: (برك) أصلٌ يدلُّ على ثباتِ الشيء[4]، والبرك: صدر البعير، وإن استعمل في غيره، ويقال له: بركة، وبرَكَ البعير: ألقى بركه، والبَرَكةُ: ثبوت الخير الإلهيِّ في الشيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، وسُمّي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوتَ الماء في البِرْكةِ، والمُبارك: ما فيه ذلك الخير، وعلى ذلك قوله تعالى هنا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾، وبَرَكة ماءِ السماء هي ما نبَّهَ عليه قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [الزمر: 21][5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 129.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 291.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 326.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (برك).
(5) الراغب، مفردات القرآن: (برك).

2) ﴿جَنَّٰتٍ﴾: (جنن) أصْلٌ يدلُّ على السَّترِ والتَّستُّر، فالجَنَّةُ ما يَصيرُ إلَيهِ المُؤمِنون في الآخِرَةِ، وهوَ ثَوابٌ مَستورٌ عَنْهُمُ اليَوْمَ[1]، والجنَّة في الأصل: كلُّ بستانٍ ذي شَجَرٍ يَسْتُرُ بأشجارِه الأرض، والجمع: جنّات، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾ [سبأ: 15]، وقال: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: 16]، وقال أيضًا: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ [الكهف: 39][2]، وهو المقصود هنا.

3) ﴿وَحَبَّ﴾: (حبب) أصلٌ يدلُّ على تجَمُّع الدَّقيق أو اللَّطيف مكتنزًا معه[3]، كالحَبَّةِ مِنَ الشَّيءِ ذي الحَبِّ، فالحَبُّ مَعْروفٌ مِنَ الحِنْطَةِ والشَّعيرِ، وكُلُّ شَيْءٍ له حَبٌّ فاسْمُ الحَبِّ منه: الحبَّةُ، فَأمّا الحِنْطَةُ والشَّعيرُ؛ فَحَبٌّ لا غَيْرَ، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ﴾ [البقرة: 261]، وقال: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 59]، وقوله هنا: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾، معناه: الحِنطة وما يجري مجراها ممّا يُحْصَدُ[4].

4) ﴿ٱلْحَصِيدِ﴾: (حصد) أصلٌ يدلُّ على قَطْعِ الشَّيْءِ، يُقال: حَصَدْتُ الزَّرْعَ وغَيْرَهُ حَصْدًا، وهَذا زَمَنُ الحَصادِ والحِصادِ[5]، والحَصد: جَزُّك البُرَّ ونحوَه من النَّبات، والحَصيد والحَصَد محرَّكة: الزرعُ والبُرُّ المحصود بعدما يُحْصَد، قال تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف: 47]، وقال: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام: 141]، أي: يوم حَصْدِه وجزازِه، وقوله هنا: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ ممّا أضيف إلى نفسِه[6].

5) ﴿وَٱلنَّخْلَ﴾: (نخل) أصلٌ يدُلُّ عَلَى انتقاءِ الشَّيْءِ واختياره، يُقال: انْتَخَلْتُهُ؛ إذا اسْتَقْصَيْتُ حَتَّى أخَذْتُ أفْضَله، والنَّخْلُ واحدَتُه النَّخلَة، وهو شجر التَّمر المعروف، سُمّيَ به؛ لأنَّهُ أشْرَفُ كُلِّ شَجَرٍ ذي ساقٍ[7]، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: 99]، وقال هنا: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[8].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جنّ).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (جنّ).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حبب - حبحب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حبّ)، والرّاغب، مفردات القرآن: (حبّ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصد).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حصد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نخل).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نخل).

6) ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾: (بسق) أَصْلٌ يدلُّ على ارْتِفاعِ الشَّيْءِ وعُلوِّه، يُقالُ: بَسَقَتِ النَّخْلَةُ بُسوقًا؛ إذا طالَت، وكَمُلَت، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾، أيْ: طَويلاتٍ[1].

7) ﴿طَلْعٌ﴾: (طلع) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ظُهورٍ وبُروزٍ، يُقالُ: طَلَعَتِ الشَّمسُ طُلوعًا ومَطْلَعًا، وطَلْعُ النَّخْلَةِ هوَ نَورُ النخلة ما دام في الكافور، قال تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾[2].

8) ﴿نَّضِيدٌ﴾: (نضد) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إلَى شَيْءٍ في اتِّساقٍ وجَمعٍ، مُنْتَصِبًا أو عَريضًا، يُقال: نَضَدْتُ الشَّيْءَ بَعْضَهُ إلَى بَعْضٍ مُتَّسِقًا أو مِنْ فَوْقٍ[3]، والمعنى المحوري: رَكْم الأشياء بعضها فوقَ بعض مع امتساكها طبقاتٍ على أوضاع معيَّنة أو منتظِمة، كأنضاد الجبال والسحاب، وكالحَشيَّة ونَضْدِ الطوبِ على الميِّت، قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ [الواقعة: 29]، فقوله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ معناه: مُنتَظِم في عثاكيلَ، ثمَّ في عراجين[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنبات الحَبِّ والنَّخل من المظاهِرِ الدّالَّةِ على البعثِ

تُلْفِتُ الآيتان أنظارَ النّاسِ بصفةٍ عامَّةٍ - وأنظارَ المشركين بصفةٍ خاصَّةٍ - إلى أنَّ اللّه تعالى هو الذي أنزل من السماء ماءً كثيرَ الخَيرِ والبركة، وافِرَ النَّفع والعطاء، فأنبت منه جنّاتٍ وعيونًا، وزروعًا وكرومًا، وأخرج به حبَّ الزَّرعِ الذي يُحصَد، كالبُرِّ والأرز والشعير وغيره، وتَخُصُّ بالذِّكر والتَّنبيه النَّخلَ الباسقة ذاتِ الأطوال الفارعة، والطلعَ المنضود الذي صُفَّ بعضُه فوقَ بعض

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بسق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طلع)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (طلع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نضد).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نضد).

بنظامٍ دقيقٍ[1]، كلُّ ذلك ليوقِنوا بأنَّ مَنْ سَهُلَ عليه ذلك كلُّه؛ يَسهُلُ عليه إحياءُ الموتى وبعثُهم؛ ليذوقوا جزاءَ أعمالهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الواو وارتباطُها السّياقيُّ:

تنزيلُ الماءِ من السماءِ آيةٌ باهرةٌ ودلالةٌ قاهرة

الواو في قول الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾؛ لعطف ما بعدها على جملةٍ: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾، جيء بها للتَّنبيه على أنَّ إنزالَ الماء من أبهَرِ الآيات وأدلِّها على أنَّ مُنزِلَها أجلُّ من أن يُشَكَّ في قُدرته على إحياء الإنسان بعدَ موته متى شاء.

بلاغة التعبير بصيغة (نَزَّلنا):

إنزالُ الماء شيئًا فشيئًا تحقيقٌ للمنفعة ودفعٌ للمضرَّة

جاء التَّعبير بفعل التَّنزيل مُضَعَّفًا في قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾، ولم يقل: (أنزلنا)؛ للدَّلالة على أنَّ إنزالَ المطر يَحدُث شيئًا فشيئًا في أوقاتٍ مختلفة على سبيل التَّقاطر بما يُناسب المصلحة، بما له من النقل والنبوع والنفوذ، ولو نَزَل دُفعةً واحدة؛ لأهلك ما نَزَل عليه، فزالت المسرَّةُ، وعادت المَنفعةُ مَضرَّة[2]، وجيء به مُسنَدًا إلى ضمير العظمة لما فيه من الدلالة على عظيم قدرة الله على كلِّ شيءٍ، بما في ذلك الإحياءُ والبعثُ، ففي الفعلِ بيانٌ لما يكون عليه الواقعُ، وما يستتبعه من المنَّة العظيمة، الدّالَّةِ على الحكمة الرَّبّانيَّة في الخلقِ.

وجهُ العدولِ إلى الخَبَر:

الانتقال بين الأساليب مُرونةٌ في الخطاب، وتَمَكُّنٌ في الإقناع

غيَّر النظمُ الكريم طريقةَ الكلام من أسلوب الاستفهام - الذي من جنسِ الإنشاء في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ - إلى أسلوبِ الإخبار بقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾؛ إيذانًا بتبديل المراد؛ ليَكونَ منه تخلُّصٌ إلى الدَّلالة

(1) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 519.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 411.

على إمكان البعث في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾[1]، بأجمل تعبيرٍ وأنَقِ أسلوبٍ، كما أنَّ الانتقالَ من أسلوبِ الاستفهامِ إلى الإخبار هو انتقالٌ من تحريك الذهن للتَّفكُّر، إلى سَردِ الأخبار التي هي آلة التَّفكُّر ممّا يُشاهده النّاس.

معنى ﴿مِنَ﴾ ودلالتُها:

حرف ﴿مِنَ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ مُتَعلِّق بفعل التنزيل، وهي لابتداءِ الغايةِ، أي: إنَّ اللّه نزَّل ماءً، ابتداءً من السَّماء، مُنتَهيًا إلى الأرضِ.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور:

لفتُ الأنظارِ إلى مصدرِ الماءِ لاستحضارِ صفةِ القاهريَّة

قُدِّم ذكر الجارِّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على المفعول ﴿مَآءٗ﴾، في قول اللّه تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾؛ لِلَفتِ الأنظار إلى ما في نزول الماء مبتدئًا من السماء من إعجازٍ دالٍّ على عظيم قدرة اللّه؛ إذ السَّماءُ هي "المحلُّ العالي الذي لا يُمسَك فيه الماءُ عن دوام التقاطُر إلّا بقاهرٍ"[2]، وفيه دعوةٌ للتَّأمُّل في السَّماءِ وما يأتي منها من رزقٍ سماويٍّ، فلا يكون إلّا بقدرةِ صاحب العلوِّ، القاهرِ فوقَ عبادِه.

غَرَضُ تنكير الماء:

الماءُ النازلُ من السماءِ كثيرٌ يعمُّ الأرضَ كلَّها

جيء بالمفعول به نكرةً في قول اللّه تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾؛ لِما يفيده التنكيرُ من التكثير والتعميم، أي: (ماءً كثيرًا يعمُّ الأرض كلَّها)، فكلُّ الماء النازلِ من السماء إلى الأرض في جميع الأماكن والأزمان، لا يُمسِكُه إلّا اللّه، ولا يَسمح بنزوله حسب المنفعة والمصلحة إلّا اللّه تعالى؛ ومَنْ يفعل ذلك، ويقدر عليه؛ فإنَّه يقدر على البعث والحساب من باب أولى.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 291.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 411.

فائدةُ وصف المفعول:

الماءُ النازلُ من السماءِ عظيمُ البركاتِ، كثيرُ الخيراتِ، جمُّ المنافعِ

وَصَفَ النظمُ الكريمُ المفعولَ به بالبركة في قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّه ليس مجرَّدَ ماءٍ، بل هو ماءٌ عظيمُ البركات، كثيرُ الخيرات، جمُّ المنافع؛ لما يترتَّب عليه من إنبات الحبوب والأعناب والنخيل، وفي هذا استدلالٌ بتفصيل الإنبات الذي سبق إجمالُه في قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾؛ لما فيه من سَوقِ العقول إلى التأمُّل في دقيق الصُّنع لذلك الإنبات، وأنَّ حصولَه بهذا السَّبَبِ وعلى ذلك التَّطَوُّرِ أعظمُ دلالةً على حكمة الله وسعة علمه ممّا لو كان إنباتُ الأزواج بالطَّفرة؛ إذ تكون حينئذٍ أسبابُ تكوينها خفيَّةً؛ فإذا كان خلقُ السماوات وما فيها، ومدُّ الأرض، وإلقاءُ الجبال فيها دلائلَ على عظيم القدرة الرَّبانيَّة لخفاء كيفيّات تكوينها، فإنَّ ظهورَ كيفيّات التكوين في إنزال الماء، وحصول الإنبات والإثمار، دلالةٌ على عظيم علم الله تعالى وقدرته[1].

نوع الفاء ودلالتها:

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ حرفُ عطفٍ يفيد التسبُّبَ والتعقيب، أي: إنَّ نزول الماء من السماء يترتَّبُ عليه إنباتُ الجنّاتِ وحبِّ الحصيد على وجهٍ من الوكادة والسُّرعة، الدالَّةِ على عظيمِ إرادةِ الله تعالى.

غَرَض الإسنادِ إلى ضَميرِ العَظَمة:

إسنادُ الإنبات إلى ضمير العظمة كإسناد الإحياء سواء بسواء

جيء بفعل الإنبات مُسْنَدًا إلى ضمير العظمة، في قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾؛ ليَلفِتَ الأنظارَ إلى ما في إخراج النَّبات من باطن الأرض من إعجازٍ يُثير العَجَبَ والدَّهشةَ[2]، كما أنَّه صورةٌ من

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 292.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 412.

صوَرِ الإحياء الذي لا يَقدِر عليه إلّا الله، والتي تؤكِّد قدرتَه تعالى على بعث الإنسان بعد أن يَصيرَ ترابًا، فإسنادُ الإنبات إلى ضمير العظمة يومئ إلى إسناد الإحياء إلى صاحب العظمة كذلك، فهذا كهذا في اعتبار العقلاء.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

قُدِّم ذكر الجارِّ والمجرور - المُعَبَّرِ فيه بباء السببيَّة - على المفعول به في قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾؛ لبيان مَظهَرِ بركة الماء، وتوضيح عظيم نفعه، وبيانِ كونه سببًا في إحياء الأرض الميتة، التي لا حياةَ فيها؛ لتقوية دلالة إحياءِ مَنْ مات من النّاسِ وبعثِه.

بيانُ مظهريَّة بركة الماء في الجنّات

نكتةُ تنكيرِ المفعولِ وجَمعِه:

عبَّر النظمُ عن مفعول فعل الإنبات بالجَنّات نكرةً منوَّنًا مجموعًا، في قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾؛ لما يفيده الجمع والتنكير والتنوين من التفخيم والتكثير، الذي يؤكِّد بركةَ الماء وتعدُّدَ خيراته وتنوُّعَها، والمعنى: (حدائقَ عظيمةً من الثَّمَر والشَّجَرِ والزَّرْعِ وغيرِه ممّا تجمعه البساتينُ فتجِنُّ - أي: تَستُرُ - الداخلَ فيها)[1]، وهذا الجمع المنكَّر دليلُ الانتشار والكثرة الوفيرة من الخيرات النابتة في الأرضِ؛ بسبب الماء المبارك النازل من السماءِ.

تعظيمُ خيراتِ الماء، والدلالة على كثرتها وتنوُّعِها

معنى الواو ودلالتُها:

الواو في قول الله تعالى: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾؛ لعطف ما بعدها على ﴿جَنَّٰتٖ﴾، على أنَّ كليهما من آثار إنزال الله تعالى الماءَ من السماء، وفي العطف بها دلالةٌ على أنَّ بركة الماء تشمل الجنّات الكثيرات، باعتبارِ تنوُّعِ منافعها، وتعدُّدِ أغراضها، وتشمل أيضًا حبَّ الحصيد الذي ينتفع منه الإنسان باعتبارِه قوتًا مقصودًا؛ فإنَّ حب الحصيد يقصده الإنسان لما فيه من خيرٍ عميم، ولا يكون في الجنّات.

الجنّاتُ ذات منافع عامَّة والحبُّ ذو منفعةٍ خاصَّة دائمة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 412.

دلالةُ إضافةِ الحَبِّ إلى الحَصيدِ:

الحَبُّ يُستخرج من الحصيد بعد تمامه

جيء بالمعطوفِ مُضافًا في قولِ اللّه: ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ - والإضافة بمعنى (مِن)، أي: وحَبٍّ مِنَ الحصيد - للإشارة إلى اختلاف أحوال استحصال ما ينفع الناس من أنواع النَّبات، فإنَّ الجنّاتِ تُستَثمَرُ وأصولُها باقية، وأمّا الحبوبُ؛ فتُستَثمَرُ بعد حَصْدِ أصولها، وتَبقَى في ذلك الحصيد منافعُ للأنعام تأكله بعد أخْذِ حبِّه، كما قال تعالى: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ [النازعات: 33][1].

توجيه عطف الخاصِّ على العامِّ:

النخلُ أفضلُ الأشجار وأعجبُها، وأغلبُ قوتِ العَرَبِ منه

الواو في جملة: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ لعطف ما بعدها على ما قبلها عطفَ الخاصِّ على العامِّ؛ إذ يُعَدُّ النَّخلُ مما يندرج في الجنّات، وخُصَّ بالذكر مع تناول الجنّات له؛ لأنَّه أهمُّ الأشجارِ وأفضلُها عند العرب، وثمرُه أكثرُ أقواتهم، ولإتباعه بالأوصاف له، ولِطَلعِه ممّا يثير تَذَكُّرَ بديع قوامِه، وأنيقِ جماله[2]، فالنَّخلُ أعجبُ النَّبات، وله من المنافع ما لا يساويه فيها شجرٌ، وفي ذكرِ بعض أفرادِ العامِّ بيانُ أنَّ الماء يكون سببًا في إنبات الزَّرع القصير والطويل، والذي يعدُّ قوتًا للإنسان والحيوان[3].

سِرُّ التَّقييد بالحالِ المُفرَدة:

طولُ النخيلِ دليلٌ على بديعِ الخِلقةِ وجمالِ الطلعةِ وعظيمِ القدرةِ

قولُهُ: ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ حالٌ من النَّخْل، في قول اللّه تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾، ومعناه: (الطويلات المرتفعات)، وأوثِر التَّقييدُ به للإيماء إلى ما فيه من بديع الخِلقَة، وجمالِ الطَّلعة؛ امتنانًا عليهم واستدلالًا[4] على عظيم قدرة اللّه على الإحياء والبعث، وهو الغرض الذي أُقيمت السورة لإثبات خطأ المشركين في رفض حصوله،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 292.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 327، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 292.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 412.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 292.

وتكذيب مَنْ أنذرهم بوقوعِه، فإنَّ طولَ النخيل دليلُ التَّعمير، والعنايةِ من العليمِ القدير.

دلالة التعبير بالحال المُرَكَّبة:

شجرُ النخيلِ جميلُ الشَّكلِ عظيمُ النَّفعِ

قولُ الله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ جملةٌ في محلِّ نصب حال من النَّخْل بطريق الترادف، أو من الضمير في ﴿بَاسِقَتٍ﴾ على طريق التداخل[1]، وفي التعبير بها بعدَ الحال الأولى - ﴿بَاسِقَتٍ﴾ - دلالة على أنَّ النخلَ يَجمَع بين حُسْنِ المنظر، وعظيمِ النفع، "فزيادة هذه الحال للازدياد من الصفات الناشئة عن بديع الصنعة، ومن المِنَّة بمحاسنِ منظر ما أوتوه"[2].

غرض تقديم الخبر في الجملة الحالية:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿لَّهَا﴾ الواقعُ خبرًا في جملة: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ على المبتدأ ﴿طَلْعٌ﴾؛ للاهتمام ببيان ما يمتاز به النخيل من الجمع بين طول السّاق، واصطفاف الثمر، وهو ما لا يتحقَّق في أنواع النبات الأخرى.

نكتة تنكير المبتدأ:

أوثر تنكيرُ المبتدأ ﴿طَلْعٌ﴾ في قول الله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾؛ لما يفيده من تعظيم التَّمر وتفخيمه، وللدَّلالة على عمومه وشموله كلَّ أنواع طلع النَّخل وأصنافه.

فائدةُ الوصف بنَضيد:

إخراجُ طلعِ النخيلِ من العدم إيماءٌ إلى إخراجِ النّاس من الأرض

وَصَفَ النظمُ الكريم الطَّلعَ بأنَّه ﴿نَّضِيدٌ﴾ على وزن (فَعيل) بمعنى (مفعول)، في قول الله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾؛ للدلالة على أنَّ طلع النخيل مُصَفَّفٌ بعضه فوق بعض ما دام في الكُفُرَّى، وهو القشر الذي يغطي الطلع على أحكَمِ ما يكون وأوثَق، والمعنى:

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 285.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 293.

(منضودٌ بعضُها فوقَ بعض في أكمامها)، كما في سنبله الزرع[1]، وطلعُ النَّخل مخالِفٌ لعادة أكثر الأشجار، فإنَّ ثمارَها مفردةٌ، كلُّ حبَّة منفردةٌ عن أختها[2]، فمن أغراض ذكر الطَّلع ووصفه بالنَّضْد التَّعجيب من جمال الشَّكل، وبديعِ المَنظَر الذي يكون عليه طلع النخيل عند خروجه؛ للإيماء إلى أنَّ من أخرج هذا الطلع من العدم على وجه يشبه خلق الإنسان، وجعله على هذا الشكل الأنيق؛ قادرٌ على إحياء مَنْ مات من الناس بعد أن صاروا ترابًا.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 129.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 412، 413.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"